الفصل الثالث

الدور السوفيتي في حرب تشرين 1973

أولا: الاستعداد السوري والمصري للحرب والهجوم على أسرائيل

كان الهدف من حرب تشرين الاول عام 1973هو تحرير الاراضي العربية المحتلة في حرب عام 1967مع الحفاظ على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وكان لابد للعرب من القيام بعمل عسكري يضمن لهم استرجاع اراضيهم المحتلة ويزيل العدوان[1].

أسهم الاتحاد السوفيتي في حرب تشرين الأول عام 1973 اسهاماً هاماً ففي السنوات التي سبقت الحرب ولاسيما في الأشهر التي سبقت تشرين الأول 1973 قدم الاتحاد السوفيتي الامدادات العسكرية اللازمة لهجوم عربي على اسرائيل، وخلال الحرب قام بعملية طوارئ للإمدادات لولاها لما كان في مقدور سورية ومصر مواصلة الحرب أكثر من خمسة أيام حسب التقديرات[2].

ان موقف الاتحاد السوفيتي ازاء الصراع العربي – الصهيوني كان مؤيداً لحالة اللاحرب واللاسلم القائمة وكان هذا التأييد ناتجا من خشية تورطه في مجابهة مع الولايات المتحدة لا يحمد عقباها لإعتقاده بإن اشتعال حرب عربية – اسرائيلية رابعة دون اعداد كاف قد يترتب عليها هزيمة جديدة للعرب لذلك تردد في تشجيع سورية ومصر على الحرب قبل انجاز عملية تدريب القوات المسلحة السورية والمصرية[3]. ومع ازدياد الاستفزازات العسكرية

---

(1) نمر الشاهين، حرب تشرين فجر التحرير، منشورات مكتب الدعاية والاعلام في القيادة القومية، دمشق،1980، ص106-107.

(2) بيتر مانغولد، المصدر السابق، ص 343.

(3) الأطرش، المصدر السابق، ص106؛ كمال حمدان وآخرون، الدول العربية والصراع العربي – الاسرائيلي، ص93.

الاسرائيلية ازدادت الاوضاع في المنطقة توترا وبدات دول المواجهة تخطط عمليا للمعركة مع اسرائيل وذلك في شهر كانون الثاني عام1973عندما شكلت سورية ومصر قيادة عسكرية موحدة كما عملت سورية ومصر على زيادة وتطوير قدراتها الدفاعية ورفع مستوى الجاهزية القتالية لجيشيهما من خلال الشحنات العسكرية لكلا البلدين المتفق عليها مع السوفيت[1].

كان الموقف السوفيتي تجاه الاستعداد للحرب ينظر اليه عبر التناقض بين الخوف المتزايد من التصعيد والحاجة الى دعم العرب من أجل ادامة النفوذ وقد تم عقد اجتماع علني في القيادة السوفيتية في بداية نيسان 1973 بأن العرب يستحقون الدعم السوفيتي بشرط ان تكون اهدافهم محصورة بتحرير الأراضي المحتلة[2].

واستمر شحن الاسلحة السوفيتية الى سورية بكميات كبيرة وبتنسيق عال المستوى بين القيادتين العسكريتين السوفيتية والسورية . كما اقيم خلال صيف 1973 نظام دفاع جوي كامل كانت موسكو قد وعدت به الرئيس السوري حافظ الأسد لدى زيارته موسكو في نيسان 1973 مما وفر للجيش السوري تغطية صاروخية لأجواء منطقة الجولان المحتلة من قبل اسرائيل كما قام السوفيت بتدريت القوات السورية والمصرية وصار بالإمكان عندئذ القيام بهجوم عربي محدود كما اصبحت المبادرة العسكرية عندئذ بيد العرب[3].

وفي آيار 1973 قام كيسنجر بزيارة موسكو لمناقشة موضوع الشرق الأوسط وللتحضير للقمة السوفيتية – الامريكية في حزيران من ذلك العام وقد المح بريجينيف الى صعوبة كبح جماح حلفائه العرب من الحرب[4].

---

(1) هلين كارير دانكوس، المصدر السابق، ص172.

(2) ورود الحجاج، المصدر السابق، ص81.

(3) بيتر مانغولد، المصدر السابق، ص81.

(4) Henry A. Kissinger, Years of Upheaval, Boston, Little, Brown and Company, 1982, P. 296.

في آيار 1973 وافقت الحكومة السوفيتية على تزويد سورية ومصر بالأسلحة المطلوبة إذا تم تجهيز سورية بصواريخ موجهة أرض – جو على غرار صواريخ مصر ودبابات حديثة من نوع (T – 62) وأيضاً مجموعة من الطائرات الحديثة المقاتلة نوع (ميغ 21)[1].

وفي آيار 1973 توجه حافظ الأسد إلى موسكو وعند عودته صحب معه إلى دمشق قائد سلاح الجو السوفيتي كوناخوف وراحت الأسلحة السوفيتية تتدفق على سورية وأكدت اسرائيل ذلك حين اعلنت ان بعض البلدان العربية حصلت على دبابات T – 62 وطائرات لم يعطها الاتحاد السوفيتي حتى لحلفائه في اوروبا الشرقية[2].

وايضاً في آيار 1973 وافق حافظ الأسد على الطلب السوفيتي بمحاولة لإقناع السادات لتأجيل أي عمل عسكري لما بعد عقد القمة السوفيتية – الأمريكية في حزيران 1973[3]. وان حافظ الأسد والسادات قد اتفقا على استقرار رأيهما بأن تشن سورية ومصر هجوماً على اسرائيل في شهر تشرين الأول من عام 1973[4].

وفي اليوم الأخير من قمة حزيران1973السوفيتية-الامريكية أثار بريجيف قضية الصراع العربي – الاسرائيلي وقدم اقتراحاً للسلام في الشرق الاوسط الذي استند على الانسحاب الاسرائيلي الى مواقع ما قبل عام 1967 في مقابل وضع حد لحالة الحرب وهذا من شأنه ان يكون خطوة نحو السلام والتي هي نفسها سيعتمد عليها في المفاوضات مع الفلسطينيين وقد رفض نيكسون وكيسنجر تلك المبادئ[5].

(1) عبير المسعودي، المصدر السابق، ص97.
(2) أحمد عبدالرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص235.
(3) Karash, Op. Cit., P. 10.
(4) Ma'oz, Op. Cit., P. 198 – 199.
(5) Kissinger, Op. Cit., P. 297 – 298.

بعد قمة حزيران قام اندريه ب. كيويلنكو (Andrei P. Kirilenko) عضو المكتب السياسي السوفيتي بزيارة الى دمشق في تموز 1973 وحمل رسالة من بريجينيف الى الرئيس السوري حافظ الأسد وحثت الرسالة على ضبط النفس واستمرار البحث عن حل سياسي وقد رفضت هذه النصيحة من قبل حافظ الأسد[1].

وفي آب 1973 قام السادات بزيارة دمشق واتفق مع حافظ الاسد على موعد اعلان الحرب ضد اسرائيل في نهاية تشرين الأول 1973 بعد ان تكون القوات السورية والمصرية قد اكتمل اعدادها وتدريباتها[2].

وفي 3 أيلول 1973 تم تعيين هنري كيسنجر وزيراً للخارجية الأمريكية خلفاً لوليم روجرز، وتمكن كيسنجر من توجيه السياسة الخارجية الامريكية كما يريد ويخطط [3].

وفي 13 أيلول 1973 قامت الطائرات الاسرائيلية باستدراج طائرة سورية الى كمين فوق البحر الأبيض المتوسط واسقاطها الامر الذي دفع حافظ الاسد الى الاتصال بالسادات وابلاغه بالاعتداء الاسرائيلي لذا قرر الجانبان ان يكون موعد اعلان الحرب في 6 تشرين الأول 1973 قبل ان تبدأ اسرائيل هجماتها ضد العرب[4].

وفي 28 أيلول حاول وزير الخارجية السوفيتي اندريه غروميكو[5] ((1957-1985) دون جدوى تحذير الرئيس الأمريكي نيكسون ووزير خارجيته كيسنجر من خطر الحرب في

---

(1) Karash, Op. Cit., P. 11.

(2) William B. Quanolt, Camp David: Peace Making and Politics, Washington, 1986, P.167.

(3) محمد جبر، الملف السري لحرب اكتوبر، مطبوعات دار الشعب، القاهرة، 1974، ص77 .

(4) George Sullivan, Sadat the men who changed min – cast history- Middle East between 1967 – 1973, New York, 1978, P. 78.

(5) أندريه غروميكو: ولد عام 1909 في روسيا البيضاء من ابوين يعملان في الزراعة، التحق بالجامعة عام 1926، ليتخصص في الهندسة الزراعية، انظم الى الحزب الشيوعي خلال دراسته وبعد تخرجه عام 1932

الشرق الأوسط[1]، وقد انتهت الفرق العسكرية السورية والمصرية تدريباتها في أيلول 1973[2].

ولم يكن توقيت الهجوم مفاجئاً للسوفيت فقد ابلغ السادات السفير السوفيتي في القاهرة فلاديمير فينوغراووف (V. Vinogradov) رسميا في 3 تشرين الأول 1973 باتفاق الحكومتين السورية والمصرية على بدء العمليات العسكرية ضد اسرائيل وفي اليوم التالي استدعى الرئيس السوري حافظ الأسد السفير السوفيتي في دمشق محيي الدينوف M. (Aldenov) وابلغه ان الحرب ستبدأ يوم 6 تشرين الأول1973 الا ان الاتحاد السوفيتي على الرغم من تأكيده على حق العرب في استخدام الأساليب كافه بما فيها العمل العسكري لتحرير الأرض اختلف مع القيادتين السورية والمصرية حول التوقيت كما تباينت التقييمات حول مدى كفاية التدريب والإعداد العسكري، فضلاً عن ان استراتيجية الحرب التي كان يدعو لها السوفيت وهي الحرب طويلة الامد لأن اسرائيل لا قبل لها بمواجهتها[3]، وقام السوفيت بإطلاق قمر استطلاع قبل يوم 6 تشرين الأول فوق منطقة الحدود العربية – الاسرائيلية، كما حث بريجينيف

تخصص في الاقتصاد الزراعي في موسكو عام 1934، ثم انتسب الى معهد الاقتصاد التابع للمجلس الأعلى السوفيتي، والتحق بوزارة الخارجية عام 1939، ثم ارسل الى الولايات المتحدة حيث عهد اليه منصب مستشار أول في السفارة بواشنطن وعام 1941 اصبح قائم بالأعمال في السفارة السوفيتية في واشنطن حتى اصبح سفير لبلاده عام 1943 في واشنطن، شارك في قرار تقسيم فلسطين 1947، وعام 1949 عاد الى موسكو بمنصب نائب وزير الخارجية، عام 1952 عين سفيراً في المملكة المتحدة وعام 1956 اصبح عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، عينه خروتشوف عام 1957 وزير للخارجية، استمر في منصبة مدة ربع قرن اذ عاصر خروتشوف وبريجينيف واندروبوف وتشيرنسينكو واوائل عهد غورباتشوف، عام 1973 انتخب عضوا في المكتب السياسي للحزب الشيوعي، اصبح عام 1983 نائب رئيس الوزراء وتوجت سيرته عام 1985 بعد انتخابه رئيساً لمجلس السوفيت الأعلى أي رئيساً للدولة، اشتهر بقناعة الحوار المفتوح مع امريكا وادارة العالم بشكل مشترك مع امريكا عاصر سبع رؤساء امريكيين، ينظر عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج4، ص338.

(1) Kissinger, Op. Cit., P. 288.

(2) انور السادات، المصدر السابق ، ص 253.

(3) انور السادات,المصدر السابق, ص246-247.

بعض الدول العربية ومن بينها العراق والمغرب والجزائر على خوض المعركة إلى جانب سورية ومصر[1].

وفي 6 تشرين الأول 1973 فاجأت سورية ومصر العدو الاسرائيلي بهجوم مباغت[2]، وكانت الخطة السورية تهدف الى اعادة مرتفعات الجولان المحتلة يليها اعادة تنظيم القوات في منطقة نهر الاردن على الطرف الفلسطيني وذلك للاختراق بأتجاة الجليل [3]. حيث قامت القوات السورية والمصرية بشن هجوم واسع النطاق على جبهة الجولان السورية وعلى جبهة القناة المصرية[4]، فبعد ثلاث سنوات من حرب الاستنزاف بين عامي 1967 و 1970 وبعد ثلاث سنوات من المحاولات لإسترداد سيناء عبر الوسائل الدبلوماسية جاء الهجوم السوري والمصري على الجيش الاسرائيلي بهدف تحرير اراضيفها المحتلة[5]، وفور اندلاع القتال بين القوات العربية واسرائيل القى الاتحاد السوفيتي بكل ثقله تأييداً ودعماً للجانب العربي ، فسارع الى اتخاذ التدابير الكفيلة لضمان استمرار تدفق الأسلحة والمعدات والتجهيزات الحربية السوفيتية الى سورية ومصر، التي كانت تهدف إلى عدم السماح بهزيمة أخرى لسورية ومصر كما حصلت عام 1967 ، لأن نصراً محدوداً سوف يعزز من موقف الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط . كذلك جعل الحرب تدور تحت سقف سياسة الوفاق الدولي ، وتجنب التصعيد غير المسيطر عليه من قبل القوتين العظيمتين ، وتجنب أن يكون الاتحاد السوفيتي طرفاً مباشراً في الحرب ، وتقليل

(1) أحمد عبدالرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص243.

(2) جورج و. بول ودوغلاس ب. بول، امريكا واسرائيل علاقة حميمه – التورط الامريكي مع اسرائيل منذ العام 1947 حتى الآن، ترجمة محمد زكريا اسماعيل، بيروت، 1994، ص83؛ ايان بلاك وبني موريس، الحروب السرية للاستخبارات الاسرائيلية، ترجمة الياس فرحات، بيروت، 1998,ص45

(3) رنا عادل سميا، العلاقات السورية-السوفيتية السياسية والاقتصادية والثقافية1946-1985، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق،2015، ص128.

(4) عبير المسعودي، المصدر السابق، ص107.

(5) جمال واكيم، المصدر السابق، ص10.

الفرص التي تدفع الى ذلك الموقف . كما سارع الاتحاد السوفيتي الى اصدار بيان حكومي يحمل اسرائيل المسؤولية ويدعم المطالب المشروعة للعرب ويؤكد ان المعارك اندلعت نتيجة انعدام التسوية السياسية للنزاع والسياسة التوسعية لإسرائيل بحماية من الأوساط الامبريالية[1].

وعلى الجبهة المصرية حققت الجيوش العربية انتصاراً ونجحت في عبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف[2]، والتوغل في صحراء سيناء[3].

اما الجانب السوري فقد تمكنت القوات السورية في البدء بتحرير كامل لتراب الجولان والوصول الى حدود عام 1967[4]، ولقد حطمت حرب تشرين 1973 حالة اللاسلم واللاحرب التي اوجدتها مقررات قمة موسكو[5].

كان قرار القيادة المصرية بالمباغتة لعبور قناة السويس متزامناً مع هجوم القوات السورية

على الحدود الشمالية لإسرائيل بموجب اتفاق سري مع الرئيس حافظ الأسد[1].

---

(1) ليونيد بريجينيف، سياسة الاتحاد السوفيتي والوضع الدولي، تقديم نقولا الشاوي، دار الفارابي، بيروت، د. ت.، ص60.

(2) خط بارليف: نسبة إلى الجنرال حايم بارليف رئيس الاركان الاسرائيلي عام 1969 ويتكون من (25) نقطة محصنة، كل نقطة تتكون من اربع قواعد من الفولاذ المسلح، تحتوي كل قاعدة على (12) مدفعاً ومن دبابة إلى ثلاث دبابات تصعد وتنزل في مدرجات خاصة كما تحتوي كل قاعدة على برج مراقبة بارتفاع (10) متر فضلاً عن (120) جندياً وطابق خاص لتخزين الطعام والذخيرة. للمزيد من التفاصيل انظر: رئيف شيف، زلازل اكتوبر، ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، 1974، ص 26 – 42.

(3) اسماعيل صبري مقلد، قضايا دولية معاصرة، مؤسسة الصباح، الكويت، 1980، ص 205 – 206.

(4) جمال واكيم، المصدر السابق، ص36.

(5) يوسف كعوش، المصدر السابق ص61 ؛ ولمزيد من التفاصيل عن قمة موسكو أنظر:منتهى صبري مولى المنصوري، قمة موسكو1972واثرها في العلاقات الامريكية-السوفيتية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات التاريخية، جامعة البصرة،2010.

كان الاتحاد السوفيتي قبل الشروع في حرب تشرين الاول1973 مشغولاً في الحفاظ على الوفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية المتمثل في رغبة موسكو في تعزيز انشطتها الاقتصادية مع الغرب وكذلك الحد من سباق التسلح للوصول الى مستويات لم تؤثر سلبياً على الاقتصاد السوفيني ، اما من وجهة نظر واشنطن فقد غيرت حرب تشرين الاول من ديناميكية الصراع العربي – الاسرائيلي ورفعت مستوى المواجهة بين واشنطن وموسكو كتلك المواجهة في الاعوام 1956 و 1967[2].

وفي الأيام الأولى من القتال عندما كانت القوات السورية والمصرية ماتزال هي المتفوقة في المعركة وضعت ثلاث فرق سوفيتية محمولة جوا في حالة تأهب[3]، حيث اذنت حرب تشرين الأول بنهاية فصل في تاريخ الصراع العربي – الاسرائيلي وبداية فصل آخر[4]، وعشية اندلاع الحرب ارسل الاتحاد السوفيتي أربع طائرات ضخمة لحمل العوائل السوفيتية من مصر الأمر الذي فسرته الحكومة الأمريكية بأنه كان دليلاً على وجود أزمة في العلاقات العربية السوفيتية[5].

(1) عبدالسلام خريبط الناشي، سياسة الردع في مواجهة الأزمات الدولية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات القومية والاشتراكية (سابقاً)، الجامعة المستنصرية، 1988، ص198؛ كمال السعدي، الصراع الالكتروني في حرب 1973، مجلة قضايا عربية، العدد 7 – 8، بيروت، تشرين الأول – تشرين الثاني، 1975، ص157.

(2) James Bennett Aryee, A critical analysis of Moscow's external policies towards Africa and the Middle East from Lenin to Gorbachev, adissertation Doctor of philisophy, University of Manitoba, Manitoba, June, 2004, P. 170 – 171.

(3) بيتر مانغولد، المصدر السابق، ص 339.

(4) جمال واكيم، المصدر السابق، ص10.

(5) آراء جاسم محمد المظفر، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من حرب تشرين الأول 1973، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة 2008،ص 52.

ثانيا: التحركات السوفيتية لتعزيز الموقف الحربي السوري والمصري

وقد رفع الجيشان السوري والمصري كفائتهما القتالية وامتلاكهما درجة مرموقة من ناحية التكتيك الحربي الحديث وذلك بمساعدة المستشارين العسكريين السوفيت[1]، وجرى تعزيز الاسطول السوفيتي في البحر الابيض المتوسط حتى بلغ حجمه 96 سفينة تضم 29 سفينة قتال على السطح و23 غواصة كما وقفت مدمرة سوفيتية في موضع يسمح لها بحماية السفن السوفيتية الداخلة الى ميناء اللاذقية من الغواصات وكان لهذا الوجود أثره لأنه صدرت أوامر للاسطول الاسرائيلي بعد ذلك بتجنب مواجهة اللاذقية وطرطوس السوريتين[2].

وبدأ النقل البحري السوفيتي في 7 تشرين الأول وتم وصول السفن السوفيتية الى سورية في 10 تشرين الأول والنقل الجوي وصل يوم 9 تشرين الأول وأراد السوفيت اثبات انفسهم أمام العرب بأنهم حلفاء يمكن الاعتماد عليهم وكذلك منع الهزيمة العربية التي يمكن ان تؤدي إلى مواجهة مع الولايات المتحدة، ومع ذلك قال وزير الدفاع السوفيتي غريتشكو: "ان دعم النجاحات العربية الاولى على أرض المعركة تتيح فرصة لانتصار الأسلحة السوفيتية ما سيؤدي بدوره إلى اضعاف موقف الولايات المتحدة في الشرق الأوسط"[3].

وانتشرت السفن السوفيتيه خلال حرب تشرين لدعم العرب في النقاط الحساسة في البحر الابيض المتوسط في مضيق جبل طارق وبحر ايجه وكذلك على مقربة من الاسطول السادس الأمريكي العامل في المنطقة غير المحدودة جنوبي كريت وقبرص وكان الهدف من هذا الانتشار السوفيتي هو ردع الاسطول السادس الأمريكي عن التحرك لدعم العمليات العسكرية

---

(1) اسكندر احمدوف، المصدر السابق ، ص10.

(2) بيتر مانغولد ,المصدر السابق، ص 337 – 339.

(3) Richard Ned Lebow and Janice Gross Stein, we all lost the Cold War, Princetion,Princetion Universiy Press, 1994, P. 185 – 186.

الاسرائيلية على السواحل وكذلك ترك انطباع لدى العرب بإمكان تدخل الاتحاد السوفيتي باستخدام قواته المحمولة جواً لدعمهم في القتال ضد اسرائيل[1].

وفي 8 تشرين الأول اصدر القادة السوفيت بياناً اعتبروا فيه اسرائيل المسؤولة عن اعلان الحرب[2]، وكانت سورية في البداية الهدف الرئيسي للنقل الجوي والبحري السوفيتي بسبب الخسائر السورية في وقت مبكر واستنزاف ذخائرها وخاصة فيما يتعلق بالدفاعات المضادة للطائرات[3].

واستمر الاتحاد السوفيتي خلال أيام الحرب الأربعة الأولى على اتصال بسورية ومصر ، وبعدد آخر من البلدان العربية المعنية بالقتال ، ومراقباً الأحداث عن كثب وبصورة عملية . كما ان المعلومات التي جمعتها اجهزته النشطة في المنطقة فضلا عن المعلومات التي تقدمت بها البلدان العربية المشتركة في القتال ، زادت من قدرة الاتحاد السوفيتي على تقدير الموقف بدقة ، ومكنته من التصرف بما يمليه عليه مصالحة والتزاماته . وبدأ الاتحاد السوفيتي بإقامة جسر جوي وبحري لنقل التعزيزات والامدادات العسكرية لكل من سورية ومصر ، فضلا عن حركة اساطيلة البحرية وزيادة عدد سفنها العاملة في البحر الابيض المتوسط وبحر العرب والمحيط الاطلسي ، وتحريكه لبعض وحداته المدرعة قريباً من البحر الأسود ووضعه لـ (50) الف جندي مظلي على أهبة الاستعداد للتدخل ، اذا اقتضت الضرورة . وقد اعلن المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية الامريكية ماكلوسكي "ان الاتحاد السوفيتي ارسل (4000) طن من المعدات العسكرية الى كل من سورية ومصر"[4].

---

(1) بيتر مانغولد، المصدر السابق، ص339.

(2) منتهى صبري المنصوري، المصدر السابق، ص165.

(3) Lebow, Op. Cit., P. 185.

(4) يفغيني بريماكوف، المصدر السابق، ص205.

كان الاتحاد السوفيتي في حرب تشرين الاول 1973يعمل على نحو كامل مع سورية ومصر لتوسيع العملية العسكرية لكن التوقيت وقرار الهجوم اتخذ من قبل حافظ الاسد والسادات، وخلال الحرب واصل السوفيت المساعدة لسورية ومصر بتوريد الاسلحة والذخيرة[1].

وفي بداية المعارك كان الاتحاد السوفيتي يعارض وقف اطلاق النار وهذا ينطلق من واقع اعتقاده بأن القوات العربية ستستمر بتحقيق الانتصارات في ساحة القتال لذلك اعلن المندوب السوفيتي لدى مجلس الأمن الدولي "ان المجلس لا يمكن ان يتخذ أي قرار جديد في الظروف الراهنة ما لم تتعهد اسرائيل بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة"[2].

ان المشكلة الرئيسية لواضعي السياسات السوفيتية بشأن حرب تشرين1973 هي كيفية التوفيق بين المصالح السوفيتية التي تنطوي عليها التزاماتها مع سورية ومصر من جهة، والمصالح السوفيتية في تجنب المواجهة مع الولايات المتحدة والانفراج من جهة اخرى[3].

وفي 7 تشرين الأول استنفذت سورية منظومة الصواريخ المضادة للطائرات SAM وفي 10 تشرين الأول استطاعت اسرائيل أن تسيطر على معظم مرتفعات الجولان[4].

وفي 8 تشرين الأول تباطأ الهجوم المصري في سيناء الى حد كبير بسبب خطة الحرب المصرية حيث دعا الجيش إلى حفر المواضع على بعد 6 – 9 أميال من الاراضي على الضفة الشرقية لقناة السويس على مدى مظلة صواريخهم لتستطيع حمايتهم من الطيران العسكري الاسرائيلي[5]، وفي نفس اليوم اصدرت الزعامة السوفيتية بياناً حملت فيه اسرائيل مسؤولية اعلان الحرب وندد البيان باسرائيل واعلن وقوف الاتحاد السوفيتي الى جانب العرب كصديق

---

(1) Almajali, Op. Cit, P. 154.

(2) الأطرش، المصدر السابق، ص 108 – 109.

(3) Aryee, Op. Cit., P. 174.

(4) Neff, ,op.cit., P. 158.

(5)Ibid., P. 117 – 119.

موثوق به[1]، ووفقاً لمقالة رئيس الاركان المصري سعد الشاذلي: "كان للسادات خطتان للحرب التي وضعها الاولى تغطي الهدف العسكري الفعلي والثانية وضعت على أساس تعليمات سياسية وخداع لإرضاء السوريين ويوضح الشاذلي أنه "إذا ادرك السوريون ان لمصر خطة قتال تقتصر على الوصول الى خط اقل من عشرة أميال شرق القناة فإنهم لن يذهبوا إلى الحرب مع المصريين الا اذا كانوا يعتقدون ان مصر تسير الى تحرير كامل لسيناء حتى يرفعوا الضغط الاسرائيلي على سورية لتحرير مرتفعات الجولان"[2]. ونددت صحيفة البرافدا في 8 تشرين الأول بالعدوان الاسرائيلي على سورية ومصر وعدته تحدياً لجميع قوى السلام[3]. وكان السادات يريد حسم نزاعاته مع الامريكيين والاسرائيليين بأي ثمن مفتقراً حتى الى لياقة ابلاغ شريكه حافظ الأسد بذلك واطلاعه على نواياه[4]، ولكن السادات استطاع ان يدخل سورية في الحرب وسارت خطته كما أراد.

ان سورية دخلت الحرب ضد اسرائيل بالتنسيق مع مصر ولكن الجيش المصري توقف من دون مبرر على عمق (15) كم في سيناء شرق قناة السويس على الرغم من ضعف المقاومة الاسرائيلية[5].

وقد توقف المصريون عن التقدم في 8 تشرين الاول ، وأثناء التقدم الاسرائيلي وراء الخط البنفسجي أصبحت الاتصالات بين سورية ومصر تتسم بالريبة والشكوك ، ودعت سورية بأن تفعل مصر شيئاً لتحويل انتباه اسرائيل عن سورية ، وقال الأسد "ان الخمول المصري في هذا الوقت كان اسوأ خيبة أمل من الحرب". وقال ايضاً "ان خطة الحرب التي شاركنا بها السادات

---

(1) وداد جابر غازي، مواقف الاتحاد السوفيتي من الصراع العربي – الصهيوني حتى عام 1973، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، بغداد، 2003، ص118.
(2) الشاذلي، المصدر السابق، ص176.
(3) نقلا عن : ورود الحجاج، المصدر السابق، ص90.
(4) جمال واكيم، المصدر السابق، ص37.
(5) ناصر زيدان، المصدر السابق، ص 127.

تنطوي على أهداف اكثر تقدماً لتحرير الأرض لمصر من تلك التي نفذت بالفعل" ويذكر الأسد ايضاً: "كان الهدف من الحرب هو استرجاع الاراضي التي احتلتها اسرائيل في عام 1967 وكان كل بلد حر للتخطيط بالهجوم على جبهته وكان الاتفاق على ان هدف سورية استعادة الجولان بينما كان الهدف المصري استعادة شبة جزيرة سيناء بأكملها وكان هذا المبدأ الذي ذهبنا به الى الحرب"[1].

لقد اعطى ايقاف الهجوم المصري اسرائيل فرصة لتركيز قواتها ضد سورية واعادة احتلال الجولان والتقدم نحو العاصمة السورية دمشق ، من جانب آخر استطاع الجيش الاسرائيلي شن هجوماً مضاداً على المصريين مكّنه من عبور القناة واحتلال منطقة شاسعة غربها مطوقاً بذلك الجيش المصري الثالث ما أجهض الانتصارات الأولى للعرب في الحرب[2].

وفي 8 تشرين الأول1973 القى بريجينيف كلمة في موسكو جاء فيها: "ان الحرب التي نشبت مجدداً تجري بين المعتدي (اسرائيل) وبين ضحايا العدوان (سورية ومصر) اللتان تسعيان لتحرير اراضيهما وان تعاطفنا هو الى جانبهما والاتحاد السوفيتي لا يزال يسعى الى احلال سلام عادل في المنطقة ليضمن لبلدان الشرق الأوسط الأمن والسلام"[3].

كان القلق السوفيتي هو لمنع تكرار كارثة 1967 لاصدقائها العرب من خلال وقف تطويق الجيش الثالث المصري على الضفة الشرقية لقناة السويس والتي يمكن ان يكون كارثة لمصر ويمكن ان يكون ضربة قوية لهيبة الاتحاد السوفيتي في المنطقة [4].

---

(1) Ilgenfritz, Op. Cit., P. 460 – 461.

(2) جمال واكيم، المصدر السابق، ص 37.

(3) اسعد عبدالرحمن وآخرون، الحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة – واقع وتفاعلات، بيروت، 1974، ص184.

(4) Almajali, Op. Cit., P. 154.

ولم يف السادات بوعوده إلى السوريين وكان الوعد ينص على ان الهجوم المصري لن يتوقف الا بعد احتلال منطقة ممرات سيناء التي تقع على بعد 20 الى 30 كم الى الشرق من قناة السويس[1]. وقام بريجنيف بابلاغ السادات تلفونياً عبر السفير السوفيتي في مصر بأن سورية وبعد ان تحقق العبور المصري السريع للقناة ترفض مشروع وقف اطلاق النار[2]. وفي مساء يوم 10 تشرين الاول قررت اسرائيل ان تتجاوز الخط الارجواني والتحرك نحو دمشق وفي نهاية ذلك اليوم كانت اسرائيل تبعد عدة اميال عن ذلك الخط[3].

وقد ارسل الاتحاد السوفيتي صواريخ سكود خلال الايام الاخيرة من الحرب من أجل فرض وقف اطلاق النار وردع الهجمات الاسرائيلية على المدن السورية والمصرية واستخدم السوفيت طائرات النقل لتقديم (200) ألف طن من المعدات العسكرية لسورية ومصر[4].

وفي ذلك المساء نفسه ليوم 10 تشرين الأول دخلت سبع فرق عسكرية سوفيتية محمولة جواً درجة الانذار ونقلت الى مركز القيادة العسكرية السورية وتم نقل رسالتين سراً من موسكو من قبل السفير السوفيتي في واشنطن اناتولي دوبرنين (Anatoly Dobrynin) الى كيسنجر رسالة منها تنطوي على تحذير اسرائيل من تقدمها على الجبهة السورية وكذلك على التطورات المتعلقة بالوضع على الجبهة المصرية للحرب[5].

وفي 10 تشرين الأول ابلغ السفير الاسرائيلي في واشنطن كيسنجر ان حكومته "قلقة للغاية" بسبب خطاب اناتولي دوبرنين كما ان اسرائيل مستعدة لقبول قرار وقف اطلاق النار

(1) جمال واكيم، المصدر السابق، ص 37.
(2) ورود الحجاج، المصدر السابق، ص 88.
(3) Neff, op.cit., P. 206 – 210.
(4) Almajali, Op. Cit., P. 154.
(5) Ilgenfritz.Op.Cit.,441-443.

ولكن كيسنجر اعتقد بأن هذا القرار ليس حكيماً في هذا الوقت لأنه سوف يكون متصلاً بالتحذير السوفيتي وهذا سيؤدي الى ضغوط جديدة[1].

وبعد 10 تشيرن الأول اتخذت موسكو قرارا رسميا بتجهيز الجيوش العربية جواً وبحراً وأثناء سير المعارك تم شحن (12500) طن من المواد الحربية جواً الى سورية ومصر والعراق وجرى نقل (5800) طن من تلك المواد بحراً واشتملت تلك المعدات العسكرية على دبابات وطائرات مقاتلة وصواريخ أرض - جو[2]، وفي ذلك الوقت كان كيسنجر يماطل في جهود السفير السوفيتي في واشنطن المبذولة لوقف اطلاق النار وقد حث كيسنجر اسرائيل لبذل مزيد من الجهد العسكري الأقصى خلال (48) ساعة القادمة بسبب هذا الجهد والتحرك السوفيتي[3].

وكانت الفرق السوفيتية السبعة المحمولة جواً قد وضعت في حالة استعداد طيلة سير المعارك وتم نقل الفرق العسكرية السوفيتية الى دمشق واتخذت جناحاً في رئاسة الأركان السورية كما قرر السوفيت الدفاع عن ميناء اللاذقية السوري الذي يعد بوابة مهمة للتموين العسكري السوفيتي الى سورية وكذلك الى مصر[4].

بعد ذلك بوقت قصير جلب اناتولي دوبرنين المزيد من الرسائل من موسكو الى كيسنجر والتي تضمنت التصريحات التي اكدت ان الاتحاد السوفيتي سيحمي وسائل النقل واحتجاج السوفيت على القصف الهمجي من قبل الطيران الاسرائيلي للمراكز السكانية في سورية ومصر وخاصة في دمشق وحذر السوفيت من ان" المراكز السكانية الاسرائيلية لن تبقى بمنأى الى أجل غير مسمى" وواحدة من هذه الرسائل تؤكد مصلحة موسكو في وقف اطلاق

---

(1) Kissinger, Op. Cit., P. 509.

(2) وليم ب. كوانت، السياسة السوفتية- سنوات الاضطراب في حرب تشرين 1973، مؤسسة راند، د. م.، 1976، ص13.

(3) Kissinger, Op. Cit., P. 501 – 503.

(4) أمين هويدي، المصدر السابق ، ص 295.

النار وقال كيسنجر لدوبرنين بأنه:"طلب من بريطانيا لاستكشاف فكرة تقديم قرار لوقف النار في اليوم التالي" [1].

وبعد نجاح الهجوم الاسرائيلي المضاد على مرتفعات الجولان طلبت سورية المساعدة من الاتحاد السوفيتي فأبلغ السفير السوفيتي في واشنطن اناتولي دوبرنين وزير الخارجية الامريكي كيسنجر في 11 تشيرن الأول" ان القطعات السوفيتية المحمولة جواً مستعدة للتحرك من أجل الدفاع عن دمشق" [2]. وان التحذير السوفيتي قد أثر على التقدم الاسرائيلي نحو دمشق والذي اتخذ قبل يوم 12 تشرين الأول والذي تم وقفه[3].

وفي 12 تشرين الأول اعلن وزير الدفاع السوفيتي اندري غريتشكو ان على دول حلف وارشو البقاء في حالة تأهب للقتال في اعقاب اندلاع الحرب في المنطقة العربية[4]، وهذا يدلل على مدى التزام الاتحاد السوفيتي في الدفاع عن سورية.

ان هدف موسكو في مساعدة العرب في حرب 1973 ، هو سعيها للحصول على مناطق نفوذ في العالم العربي . كذلك هناك مصالح استراتيجية مثل الحصول على التسهيلات الجوية والبحرية للجيش السوفيتي في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي . الى جانب ذلك أرادت الحد من وجود البحرية الأمريكية والصواريخ النووية بعيدة المدى ، وان اهمية سورية ومصر في العالم العربي دفعت بريجينيف لتزويد سورية ومصر بالأسلحة الجوية والبحرية . وفي نفس الوقت ومن أجل مواجهة هذه الخطوة السوفيتية ، اطلقت الولايات المتحدة الأمريكية عملية نقل جوي ضخمة لمختلف الأسلحة العسكرية الى اسرائيل . وعندما حاول الاسرائيليون تطويق الجيش المصري ليقطع الامدادات عنه ، حذر السوفيت من خطورة عواقب هذا العمل، وقدموا

---

(1) Kissinger, Op. Cit., P. 510.

(2) بيتر مانغولد، المصدر السابق، ص 339 – 340.

(3) Karsh, Op. Cit., P. 14.

(4) صحيفة الجمهورية، العدد 1836، بغداد، 13 تشرين الأول 1973.

احتجاجاً إلى كل من اسرائيل والولايات المتحدة لتعزيز هذا التهديد، ونشر السوفيت 90 – 100 سفينة حربية في البحر الأبيض المتوسط . وقد نشرت الولايات المتحدة ايضاً عدداً مماثلاً من السفن الحربية[1]. وقال كيسنجر:" بأنّ الولايات المتحدة اكتشفت بأنَّ السوفيت وضعوا سبع فرق محمولة جواً على أهبة الاستعداد في 12 تشيرن الأول 1973"[2]. وفي 13 تشرين الأول قام الرئيس الامريكي نيكسون بإقامة جسر جوي امريكي لنقل الاسلحة الى اسرائيل وقد برر نيكسون عملة هذا ان السوفيت اول من بدأ بالتدخل الى جانب العرب[3].

وفي 15 تشرين الأول وحتى نهاية الحرب سيطرت اسرائيل على جبل الشيخ على حافة الحدود اللبنانية – السورية وعلى الجبهة المصرية عبر لواء المظليين الاسرائيلي الى الضفة الغربية لقناة السويس فوق بحيرة المرة الكبرى يوم 16 تشرين الأول وفي صباح يوم 18تشرين الاول بدأت (140) دبابة اسرائيلية بالعبور الى الضفة الغربية للقناة [4].

وفي 15 تشرين الأول تحولت الحرب لصالح اسرائيل وسعى الاتحاد السوفيتي الى كسب تعاون الولايات المتحدة للوصول الى وقف لاطلاق النار فعقد اتفاق بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة لوقف اطلاق النار وكان المصريون قد وافقوا على وقف اطلاق النار لكن السوريين كانوا يخططون لهجوم مضاد في 23 تشرين الأول[5].

---

(1) Aryee, Op. Cit., P. 172 – 173.

(2) Kissinger, Op. Cit., P. 507.

(3) Assistant Secretary for near Eastern Affairs Joseph Sisco to Kissinger "Proposed Presidential Message to king Fasial, 12 October 1973, with State Department Cable routing message attached, source RG 59, SN 70 – 73, POL 15 – 1 US/ Nixon;
كامل زهيري، حقائق ووثائق عن كيسنجر ومترنيخ وحرب تشرين ، مجلة قضايا عربية، العدد 7، السنة 8، بيروت، 1975، ص 26.

(4) Neff, Op. Cit., P. 226 – 270.

(5) بيتر مانغولد، المصدر السابق، ص 340 – 341.

كما تقدم الاسرائيليون في الضفة الغربية لقناة السويس جنوباً وبدأوا بتطويق الجيش المصري الثالث على الضفة الشرقية وهنا قرر السادات القبول بوقف اطلاق النار في صباح يوم 20 تشيرن الأول واستدعى السادات السفير السوفيتي في القاهرة وأبرق الى حافظ الأسد لابلاغه القرار[1].

سعى السوفيت لوقف اطلاق النار لمنع المزيد من الخسائر العربية وكانوا قلقين بشأن التأثير المحتمل للحرب على العلاقات السوفيتية -الأمريكية ويعتقد كوسجين ان وقف اطلاق النار ضرورياً بسبب الخسائر العربية والجسر الجوي الأمريكي لاسرائيل وقال بريجينيف فيما يتعلق باستخدام القوات السوفيتية:"انه يجب ان يكون واضحاً للجميع ان هذا يعني حرباً عالمية"[2].

وعلى الرغم من سعي السوفيت الى وقف اطلاق النار فإنهم فعلوا النقل الجوي والبحري الهائل من المعدات العسكرية الى سورية ومصر[3]. وقد اقترح بريجنيف اقامة جسر جوي لنقل السلاح الى دمشق[4]، كما بعث السوفيت فريقاً من الفنيين حيث قادوا الدبابات السوفيتية من اللاذقية وطرطوس الى دمشق وقد اشرف الفنيون السوفيت على استخدام بطاريات الصواريخ الجديدة SAM وكانوا ايضاً مع القوات السورية في منطقة القتال ولكن ليس في الخطوط الأمامية[5].

وخلال الأيام الأولى من جهد الإمدادات السوفيتي اصابت الهجمات الجوية الاسرائيلية المركز الثقافي السوفيتي في سورية ودمرت عدداً من الطائرات السوفيتية على الأرض والتي كانت تشارك في النقل الجوي وكذلك اصيبت سفينة تجارية سوفيتية في ميناء طرطوس

(1) Neff., Op. Cit., P. 261.
(2) Lebow, Op. Cit., p. 200 – 207.
(3) Aryee, Op. Cit., P. 175.
(4) ورود الحجاج، المصدر السابق، ص93.
(5) Lebow, Op. Cit., P. 209.

السوري[1]. وذكر كيسنجر بأنَّ السفير السوفيتي في واشنطن اخبره بان بلاده لا يمكن ان تكون غير مبالية بالاخطار التي تهدد دمشق واذا واصلت اسرائيل المضي قدماً فإن الأمور قد تخرج عن نطاق اليد"[2]. وقد أرسل بريجينيف رسالتين الى واشنطن في 18 و 19 تشرين الأول الأولى تتضمن الدعوة لوقف اطلاق النار والثانية بأن يأتي كيسنجر الى موسكو لإجراء الترتيبات اللازمة لذلك[3].

وذكرت الاستخبارات السوفيتية ان القوات الاسرائيلية تتقدم نحو الجزء الجنوبي من قناة السويس وان هزيمة مصرية مدمرة ستحدث ويعتقد بريجينيف ان رحلة كيسنجر الى موسكو من شأنها ان تعزز سمعة الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط[4]. وفي نظر كيسنجر كان توقيت محاولة وقف اطلاق النار مقبولة على الرغم من أنه لا تزال الحاجة إلى مزيد من الوقت لإسرائيل على تحسين حالة جبهة القتال في ساحة المعركه المتعثرة اتجاه مصر وان انتصاراً محدوداً لإسرائيل يقوض التشدد في الموقف العربي ولتسهيل الوساطة بين الولايات المتحدة والعرب كذلك ابعاد الاتحاد السوفيتي من الدبلوماسية بسبب الحالة السيئة لعلاقاتها مع اسرائيل[5].

ان اعلان مصر عن وقف القتال قلب موازين القوى رأساً على عقب حيث استطاعت القوات الاسرائيلية ان توقف التقدم السوري على الجبهة السورية ومن ثم تدفع به الى ما وراء خط وقف اطلاق النار في حرب 1967 حينها وجه الاتحاد السوفيتي الدعوة الى وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر لزيارة موسكو[6]، التي وصلها مساء يوم 20 تشرين الأول1973[1]،

(1) Karsh, Op. Cit., P. 13.
(2) Kissinger, Op. Cit., P. 508.
(3) Neff, Op. Cit., P. 253 – 256.
(4)Lebow , op. cit., P. 209.
(5)Kissinger, op. cit., P. 473 – 544.
(6) الأطرش، المصدر السابق، ص 109.

لإجراء مباحثات مباشرة مع ليونيد بريجينيف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي واليكسي كوسيجين رئيس الوزراء، واندريه غروميكو وزير الخارجية تستهدف وضع حد للحرب في الشرق الأوسط[2]. وقد ادت تلك المباحثات الى ان أصدر مجلس الأمن الدولي القرار رقم (338) الذي ينص على وقف اطلاق النار وبقاء القوات المتحاربة في اماكنها والبدء في التفاوض لتطبيق القرار رقم (242)[3]، وان القرار رقم (338) دعا لإنهاء القتال في موعد لا يتجاوز (12) ساعة وقد رفضت سورية هذا القرار [4].

ثالثا: دور الدبلوماسية السوفيتية تجاه قرارات مجلس الامن لوقف القتال

ففي 22 تشرين الأول عقد مجلس الأمن الدولي بدعوة من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وتم اصدار قرار (338) والذي تضمن وقف اطلاق النار والبدء في مفاوضات جديدة[5]، وقد توقفت الحرب جراء صدور القرار (338) بتوافق دولي أيدته موسكو وواشطن حيث دعا القرار إلى وقف فوري لإطلاق النار وتطبيق القرارات السابقة ذات الصلة لا سيما القرار 242[6].

وبعد صدور قرار مجلس الأمن الدولي المرقم (338) بدأ الاتحاد السوفيتي حملة دبلوماسية قوية لحمل اسرائيل على الانسحاب الى خطوط 22 تشرين الأول التي كانت حدودها غير معروفة ومن جانب آخر راح يضغط على سورية لتنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي (338)

---

(1)Karsh, op. cit., P. 15.

(2) مجلة السياسية الدولية، العدد 35، القاهرة، كانون الثاني 1974، ص237.

(3) اناتولي اجاريشيف ، التآمر ضد العرب ، ترجمة فهد نقش ، دار التقدم ، موسكو، 1988، ص49؛ الأطرش، المصدر السابق، ص109.

(4)Kissinger, Op. Cit., P. 547؛ رنا عادل سميا، المصدر السابق، ص128-129

(5) آراء جاسم المظفر، المصدر السابق, ص125.

(6) ناصر زيدان، المصدر السابق، ص127.

وذلك بتقديم تطمينات بأن اسرائيل ستنسحب هي الأخرى من جميع الأراضي العربية المحتلة وتعترف بحقوق الشعب الفلسطيني[1].

ان الحكومة السوفيتية حذرت الحكومة الاسرائيلية على استمرار الأعمال العدوانية ضد سورية ومصر إلا ان السوريين ليسوا مستعدين لأنهاء القتال وانهم لم يقبلوا بالقرار (338) لمجلس الامن وقد كانت القوات الاسرائيلية على بعد (20) ميلاً من دمشق عندما طلب السادات والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وقف اطلاق النار حسب القرار (338) يوم 22 تشرين الأول1973 وقبل ذلك بيومين حاول حافظ الأسد اقناع السادات بالاستمرار في القتال في رسالة بعثها كان فيها؛" "إنني مقتنع انه من خلال مواصلة وتكثيف المعركة سيكون من الممكن ضمان تدمير تلك الوحدات الاسرائيلية التي عبرت القناة ... ولقد تم اغلاق معظم نقاط اختراق العدو وأنا واثق من اننا سوف نكون قادرين على التعامل مع تلك الفلول المتبقية في غضون الأيام القليلة المقبلة"[2].

وفي 23 تشرين الأول اجتمع مجلس الأمن الدولي مرة أخرى واصدر القرار (339) وقد وافقت عليه الدول العربية ايضاً بعد موافقة الجانب السوفيتي عليه وتضمن ارسال قوات دولية الى المنطقة بشرط ان لا تشمل قوات أمريكية أو سوفيتية ، الا ان اسرائيل رفضت القرار ولم تلتزم به، فضلاً عن ذلك استمرت هجماتها البرية والجوية على الجيوش العربية على الرغم من زيادة عدد المراقبين الدوليين على الجبهة المصرية- الاسرائيلية[3]، فقد استفاد الاسرائيليون من الوضع لاستكمال تطويق الجيش الثالث المصري في الجزء الجنوبي من قناة السويس وتحقيق مكاسب اضافية بين 22 و 24 تشرين الاول وقد شكا المصريون والسوفيت لواشنطن بشأن الانتهاكات الاسرائيلية لوقف اطلاق النار وطلبا من الولايات المتحدة كبح جماح حليفتها

(1) عبدالله سلوم السامرائي، المصدر السابق ، ص153.

(2) Karsh, Op. Cit., P. 19.

(3) Abdul Momen Said, The United Stats and the October 1973 – Middle East Crisis, University of Northern Illinois, U.S.A, 1982, P. 363.

وقد فهم السادات من ان القرار (338) يعني ضمانة مشتركة من جانب السوفيت والامريكان لغرض وقف اطلاق النار اذا تم انتهاك ذلك وهكذا ففي 23 تشرين الأول اتصل السادات بنيكسون وطلب تدخل الولايات المتحدة ولكن نيكسون أجابه: "أنه لايوجد أي ضمان على هذا النحو وان اسرائيل يجري حثها على الالتزام بوقف اطلاق النار ومصر يجب أن تفعل الشيء نفسه"[1].

وفي 23 تشرين الأول -وعلى أثر انتهاكات اسرائيل لقرارات مجلس الأمن الدولي المتضمنة وقف اطلاق النار- اصدرت الحكومة السوفيتية بياناً خاصاً تضمن تحذيراً شديد اللهجة الى اسرائيل أكدت فيه ان عواقب خطيرة ستترتب على استمرار الأعمال العدوانية الاسرائيلية ضد سورية ومصر كما طالب البيان اسرائيل بسحب قواتها الى الخطوط التي كانت عليها في 12 تشرين الأول1973 وتنفيذ قرار مجلس الأمن ذو الرقم (338) وكان البيان السوفيتي يعكس تأييد السوفيت غير المشروط للعرب[2].

وفي اليوم نفسه بدأ الجيش السوفيتي يستعد لمساعدة مصر واصبحت الفرق المحمولة جواً في وضع جاهز للتحرك واثنان من السفن الحربية غادرت من الساحل السوري وتحركت نحو مصر وارسل بريجينيف رسالة الى نيكسون مفادها ارسال قوات سوفيتية وامريكية الى مصر لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم (339) بشأن وقف اطلاق النار وجميع الانشطة العسكرية وكان فيها: "ان الاتحاد السوفيتي سوف يؤمّن وقف اطلاق النار بناءً على طلب مصر مع الولايات المتحدة او بدونها" أما السيناريو في رأي كيسنجر فإنه يختلف عن وجهة النظر السوفيتية التي اذا ما طبقت فإنها ستعود مصر مرة أخرى في المدار السوفيتي[3]، وطالب بريجينيف بعمل سوفيتي أمريكي مشترك لغرض وقف اطلاق النار مضيفاً: "اريد ان اقول

---

(1) Lebow, Op. Cit., P. 211.

(2) ورود الحجاج، المصدر السابق، ص 100 – 101.

(3) Said, Op. Cit., P. 366.

بصراحة انه اذا وجدتم من المستحيل عليكم العمل معنا في هذه القضية فسوف نرى انفسنا ازاء ضرورة التفكير على وجه السرعة في مسألة اتخاذ الخطوات المناسبة من طرف واحد ولا يمكن السماح لاسرائيل بارتكاب المخالفات والنجاة بنفسها"[1].

كان قرار الدعوة لوقف اطلاق النار تم اتخاذه من قبل مصر والاتحاد السوفيتي دون استشارة سورية طوال يوم 23 تشرين الأول وقد استشار حافظ الأسد ضباط الجيش والأعضاء الرئيسيين في حزب البعث الحاكم وشاور وزير خارجيته عبدالحليم خدام[2] وسفراء الدول العربية في دمشق وأوضح لهم بأنَّ مصر لم تعد في الحرب ضد اسرائيل وعلى سورية ان لا تستمر في القتال وفي مساء 23 تشرين الأول1973وافق حافظ الأسد على وقف اطلاق النار وفهم حافظ الأسد من القرار رقم (338) والقرار رقم (242) انهما يعنيان انسحاب اسرائيل الكامل من الأراضي العربية المحتلة وحماية حقوق الفلسطينيين[3]. وضعت القوات الامريكية في جميع أنحاء العالم في حالة من الاستنفار وعبرت الحكومة الامريكية عن خطوة موسكو التحرك من جانب واحد بالأمر غير المقبول[4]. وفي 24 تشرين الأول طالب الاتحاد السوفيتي بفرض العقوبات على اسرائيل وقطع العلاقات الدبلوماسية معها لخرقها المستمر لقراري وقف اطلاق

(1) بيتر مانغولد، المصدر السابق، ص 342 – 343.

(2) عبدالحليم خدام: ولد عام1933في مدينة بانياس التي تقع على الساحل السوري، بدا مسيرتة كمحامي في دمشق، وفي عام1966عين محافظا للقنيطرة، وفي عام1967عين محافظا لحماة، ثم محافظا لدمشق، وفي الفترة1969-1970شغل منصب وزيرا للاقتصاد والتجارة، وبعد الحركة التصحيحية لحافظ الاسد عام1970اصبح خدام وزيرا للشؤون الخارجية، لعب خدام دورا اساسيا في عدة مبادرات حيث اشترك في مفاوضات اتفاقية فصل القوات مع اسرائيل التي وقعت في28ايار1974، وفي عام1975دعى الى تشكيل قيادة عليا اردنية سورية بهدف اقامة تعاون وثيق بين الطرفين وكان لة دور كبير في عقد الاتفاقية السورية اللبنانية الفلسطينية عام1976، شغل منصب الرئيس بالوكالة لمدة37 يوما بعد وفاة حافظ الاسد بصفتة نائبة الاول.ينظر:د.ع.و.، ملف العالم العربي، سورية-سير وتراجم، س-1\1905.

(3) Ilgenfritz, Op. Cit., P. 459 – 460.

(4)Neff, Op. Cit., P. 284 – 289; Lebow, Op. Cit., P. 226 – 251.

النار الصادرين من مجلس الأمن يومي 22 و 23 تشرين الأول1973[1]، وفي هذا اليوم أيضاً حوصر الجيش الثالث المصري بالكامل وناشد السادات الجانبين السوفيتي والأمريكي بالتدخل فوافق السوفيت مباشرة ، مما أدى الى تصاعد الأزمة دولياً[2].

وفي 24 تشرين الأول حصل كيسنجر على تأكيدات من اسرائيل بأن قواتها ستوقف تقدمها وفي اليوم نفسه دعا السوفيت الى تأمين وقف اطلاق النار كما دعا الى اجتماع لمجلس الأمن للنظر في تأمين وقف اطلاق النار عن طريق نشر قوات من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة[3].

وكانت هناك تهديدات بالتدخل العسكري من بريجينيف ونيكسون . وفي 25 تشرين الأول1973 اكتشفت أجهزة الرادار الأمريكية ، ان اسلحة نووية كانت على متن سفينة شحن سوفيتية في البحر الأبيض المتوسط متجهة إلى مصر ولقد كانت خطورة الوضع دفعت كل من موسكو وواشنطن إلى وضع الخلافات السياسية جانباً واحتواء الأزمة عبر المفاوضات الدبلوماسية[4]، وبفضل نشاط الاتحاد السوفيتي الفعال على الصعيد الدولي وفي هيئة الأمم المتحدة خصوصاً توقفت العمليات الحربية في الشرق الأوسط في 25 تشرين الأول 1973[5].

ولقد قام السوفيت بتجهيز الجيوش العربية وتدريبهم. وبما ان اسرائيل كانت دولة حليفة للولايات المتحدة فكان ينظر لانتصار العرب على انه انتصار لموسكو ، الى جانب ذلك ، أظهرت موسكو استعدادها وقدرتها على ابراز القوة العسكرية بوتيرة سريعة ، كما يتضح من عمليات النقل الجوي الواسعة لسورية ومصر ، وكذلك فإنه من زاوية سياسية بحته اظهر الاتحاد السوفيتي نفسه كقوة عسكرية ذات مصداقية موثوق بها ، والذي من شأنه أن يدعم أصدقائه في

(1) مجلة السياسة الدولية، العدد 35، القاهرة، كانون الثاني 1974، ص 237.
(2) ورود الحجاج، المصدر السابق، ص 101.
(3)Lebow, Op. Cit., P. 243.
(4)Aryee, Op. Cit., P. 173.
(5) ايريل رولو وآخرون، اسرائيل والعرب – الجولة الثالثة، د. م.، 1968، ص 168.

مثل هذه الأزمات . وكانت الدبلوماسية السوفيتية قوية في حل هذه الأزمة . أذ وصلت لقرار في مجلس الأمن يوم 22 تشرين الأول تم انجازه مع قدر كبير من النفوذ السوفيتي . وفي هذا السياق أثبتت موسكو مكانتها كلاعب قوي في ادارة الأزمات الدولية والعلاقات الاستراتيجية . كل هذه المبادرات عززت صورة موسكو في الشرق الأوسط[1].

وفي 26 تشرين الأول1973 اجتمع اعضاء مجلس الأمن الدولي وصدر القرار (340) وذلك على أثر رفض اسرائيل لقراري مجلس الأمن السابقين وقد نص القرار على وقف اطلاق النار وانشاء فرقة طوارئ دولية تحت اشراف مجلس الأمن وزيادة عدد المراقبين الدوليين على حدود الجانبين ووافقت اسرائيل على القرار بعد أن أوضح لهم كيسنجر أهمية البدء في مفاوضات جديدة بهدف رفع حظر النفط الذي فرضته الدول العربية على الدول الغربية والذي سبب عجزاً اقتصادياً لمعظم دول الغرب ومن جانبهم وافق العرب على القرار[2].

أعتبر السوريون ان حرب تشرين الأول1973 شكلت فرصة لاسترداد الكرامة والاراضي العربية المحتلة وبدء المفاوضات التي تمكنهم من بلوغ اهدافهم وكانت قوات سورية في حدود (200) الف جندي وعندما دخلت الحرب اعتبرت ان الحرب شاملة وان الهدف منها هو التحرير الكامل للأراضي العربية التي احتلت عام 1967، ولكن السادات قرر خوض حرب محدودة مع اسرائيل ليعزز فرص التوصل الى حل سلمي[3]. وعلى الرغم من عدم استعادة سورية لمرتفعات الجولان وكذلك الأضرار الناجمة عن الحرب اظهرت سورية الى اسرائيل والعالم انها دولة يحسب لها حساب وقد زاد الموقف السوري من شعبية الرئيس حافظ الأسد[4]،

---

(1)Aryee, Op. Cit., P. 177.

(2)Charles O. Lerche and Abdul Aziz Said, Conception of International Politics, New York, 1979, P. 137.

(3) جمال واكيم، المصدر السابق، ص 35 – 36.

(4)Chanis, Op. Cit., P. 226.

وقد بدأ السوفيت بعد الحرب بتعويض المعدات العسكرية لسورية ومصر التي دمرت خلال حرب 1973[1].

ان الحملة الدبلوماسية القوية التي بدأها الاتحاد السوفيتي عقب حرب تشرين الأول كانت تستند الى المبادئ الأساسية التالية:

أولاً: عدم الموافقة على احتلال دولة لأراضي دولة ثانية ووجوب انسحاب الدولة المعتدية من الاراضي التي احتلتها.

ثانياً: مطالبة اسرائيل بالإنسحاب من الأراضي العربية جميعا التي احتلتها في حرب 1967.

ثالثاً: حق الشعب الفلسطيني بالعودة الى اراضيه وحقه في تقرير مصيره بما في ذلك اقامة دولته على اراضيه في الضفة الغربية وقطاع غزة التي احتلت عام 1967.

رابعاً: حق جميع شعوب المنطقة العيش بسلام وامان على اراضيها بما في ذلك (حق اسرائيل بالبقاء) وفقاً لقرار التقسيم لعام 1947.

خامساً: العمل على تطبيق قرار مجلس الأمن الدولي المرقم (242) بكل بنوده أي الانسحاب الاسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة واعتراف البلدان العربية (باسرائيل) مقابل هذا الانسحاب[2].

وفي 7 تشرين الثاني1973 وصل كيسنجر الى القاهرة والتقى مع السادات ووافق السادات على السماح للولايات المتحدة بالعمل على فك الاشتباك بين القوات المصرية والاسرائيلية، كما وافق على اعادة العلاقات الدبلوماسية المصرية – الأمريكية بعد ست سنوات من القطيعة والتي

(1)Dawisha, Op. Cit., P. 179.

(2) عبدالسلام سلوم السامرائي، المصدر السابق ، ص153.

سيتم اعادتها فوراً[1]. وفي 15 كانون الأول 1973 توجه كيسنجر الى دمشق للقاء حافظ الأسد لأول مرة، وكان حافظ الأسد قلقاً من تحركات السادات نحو فك الارتباط من جانب واحد من شأنه أن يترك سورية تعمل لوحدها مع اسرائيل وتقويض نفوذ المساومة السورية من خلال عدم السماح لسورية ومصر لتنسيق المواقف بشأن فك الارتباط واثناء اللقاء اخبر الأسد كيسنجر بأن اسرائيل يجب ان تنسحب الى الخطوط التي كانت قائمة قبل حرب 1967 وفي 21 كانون الأول 1973 قدمت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ومصر واسرائيل والأردن على تسويه سلمية في الشرق الأوسط في جنيف وفي اليوم التالي اجتمع المشاركون لفترة وجيزة وترك الباب مفتوحاً للاجتماع في المستقبل[2]. ورغم اختلاف الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية في تقييم مهام مؤتمر جنيف الذي تقرر عقدة لبحث الوضع في المشرق العربي والعمل على فك ارتباط القوات في الجبهة السورية مع اسرائيل، فان مصالحهما توافقت لاسباب متباينة تماما فكانت الولايات المتحدة الامريكية مدفوعة اساساً برغبتها في افشال الحظر النفطي العربي فيما شدد الاتحاد السوفيتي على التحضير الفوري لاتفاقية فك الارتباط بين سورية واسرائيل وذلك بسبب خشية موسكو من تعرض سورية لهجوم اسرائيلي بعد فك الارتباط بين القوات المصرية والاسرائيلية في سيناء وذلك ما لسورية من اهمية في السياسة السوفيتية[3].

بعد توقيع اول اتفاقية فك ارتباط مصرية – اسرائيلية في كانون الثاني 1974 شنت سورية حرب استنزاف محدودة على مرتفعات الجولان وكان هدف سورية سياسياً حيث كانت تسعى الى منع جعل خطوط وقف اطلاق النار مستقرة كما فعلوا بعد حرب الأيام الستة فضلا عن ضمان اشراك الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في عملية السلام بين العرب واسرائيل والابقاء على خطر نشوب حرب جديدة ماثلاً في الشرق الأوسط وكان هذا الصراع المحدود

(1)Kissinger, Op. Cit., P. 639 – 644.

(2)Ilgenfritz, Op. Cit., P. 464-469.

(3) يفغيني بريماكوف، الشرق الاوسط: المخفي والمعلوم، ترجمة علي العرب وعبدالسلام شهباز، دار اسكندرون، سورية، 2006، ص176.

يلقى الدعم من جانب الاتحاد السوفيتي[1]. وبعد عدة رحلات قام بها وزير الخارجية السوفيتي آندرية غروميكو الى المشرق العربي ولقاءاتة مع وزير الخارجية الامريكي كيسنجر تم التوقيع في جنيف في5حزيران1974 على الوثائق الختامية التي حددت كيفية الفصل بين القوات السورية وانسحاب اسرائيل من الاراضي التي يحتلها ومواعيدها[2].

(1) بيتر مانغولد، المصدر السابق، ص 346.
(2) يفغيني بريماكوف، الشرق الاوسط، المصدر السابق، ص177.